

المثل

المثل في القرآن الكريم

- « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون . »
« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . »
« ونضربها في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا . »
« ونضربها في هذا القرآن من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ سجدا . »

إن الحديد بالحديد يفتح .

﴿

إنشاس شاص والحمل حمل .

الأمثال لا تغير في مضربها عن حال موردها .

إن صيغة (مَثَل) وما يشتق منها تنبئ عن معنى الحضور والظهور ، وقد تدل على المشابهة والمثاقفة ، تقول (مَثَل) الرجل بين يدي فلان ، أي حضر لديه منتصباً . و « مثل القمر » أي ظهر . و « مائل فلان فلاناً » أي شابهه . و (مائل فلانا بفلان) أي شابهه به . و (فلان مثل فلان) أي شابهه و « ضرب له مثلاً » أي بين له حجة ودليلاً . و « بسط له مثلاً » أي أوضح له حديثاً ، ولا يخرج الدليل والحديث عن دائرة معنى

المثل - المثل في القرآن الكريم

الظهور ، و « تمثل الشيء » أي تصور مثاله - والمثال صفة مقدار الشيء - ولا يخرج تصور الشيء عن معنى حضوره في الخيال .

و « المثل » في مصطلح الأدب ، هو القول السائر الممثل بمضربه ، أي المشبهة حالة مضربه بحالة مورده ، أي الحالة التي كان قد ورد فيها القول ، فهو استمارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب أي تشبيه الصورة المنترعة من حالة المشبه بالصورة المنترعة من الحالة التي كان عليها المشبه به ، على غرار قول بشار :

كان منار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

وقد حصر علماء الأدب قديماً وحديثاً الكلام « في المثل » بهذا المعنى الذي انتهينا من تفسيره ، بحيث أصبح « المثل » عند الاطلاق لا يقصد منه إلا هذا المعنى . وقد جمعوا ما تيسر لهم جمعه ، من الأمثال القديمة التي أصبحت أكثرها لا يتبين معناه إلا بشرح قد يطول ، كما ان أغلبها قد نفر من أنس الاستعمال ، فاستوحش وصار غريباً لا يألّف أقلام الكتّاب ، ولا صحائف الكتّاب ، ولا سطور الصحف . وقد أُلّف فيها بعضهم كتاباً مثل كتاب الأمثال للفضل الضبي ، وكتاب مجمع الأمثال للميداني ، ونظمها بعضهم وشرحها في مجلد ضخيم مثل كتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ إبراهيم الأحمد الطرابلسي .

وقسم بعض أساتذة الأدب كلام العرب الى منظوم ومنثور ، والمنثور الى مرسل ومسجوع ، وإلى محاضرات وخطب وأمثال ، وعرفوا المثل بمثل ما سبق أن عرفناه به . ولا شك أن هذه التقسيمات مبنية على أوصاف يعتاز بها نوع من الكلام عن نوع منه ، واعتبروا تمايز الأمثال عن غيرها من كلام العرب ، بكونها عبارات موجزة لبعض الناس فشت وسار استعمالها في المحادثات والمعاتبات ، لتعوير الحال التي ذكرت فيه بالحال التي كانت قد أنشئت وقيلت فيه ، وذلك إما لطرافة في الصورة التي يحملها المثل ، وإما لأن

مثير القاضي

تلك الصورة توحى الى ذهن السامع ما لا تؤديه رسالة أو صحيفة أو سطور ، من تفسير أو إيضاح ، أو معنى آخر يقتضيه المقام . وهذا هو معنى الایجاز . فالسامع عند ضرب المثل له ترسم في ذهنه صورة حال مورده شارحة له حال مضرب المثل ، فيفهم المعنى المقصود من الكلام بكل الدقة والوضوح ، فهما جامعا شتى المتفرقات ، كما لو عرضت عليك صورة شخص لتعرفه اليك ، فانها تعرفه اليك وتحيطك به من حيثيته : المادية والمعنوية ، بأكثر مما تعرفه صحف عديدة أو رسالة مسهبة . فان المشاهدة تؤدي في التعريف ما لا يؤديه التوصيف .

كل ما مر بحثه من 'خطه الأدباء في المثل صحيح مقبول مشكور . ولسكنهم قد اغفلوا في كلامهم وتقسيماتهم نوعين من الأمثال يشتاق الأديب الى البحث فيهما ، وتدوين ما يتيسر تدوينه منها :

الأول — أمثال القرآن الكريم . وهي الأهم علماً ، والأغزر فائدة .

والثاني — الأمثال العامة . وهي من نوع الأمثال التي جمعها السلف من حيث الماهية والحقيقة ، الا انها من وضع العامة لم تراع فيها الفصاحة ولا البلاغة . فهي نوع من الأدب العامي .

ولا شأن لنا في هذا المقال بالأمثال التي بحث فيها الأدباء جمعاً وشرحاً ثم نظماً وتفسيراً .

أمثال القرآن الكريم

المثل في القرآن الكريم ليس من قبيل « المثل » المصطلح عليه عند الأدباء المعروف عندهم بالتعريف السالف الذكر أو بما يساويه معنى ، أو بما يعادله لفظاً ومعنى ، ولا هو على غرارهِ . وليس هو من النوع الداخل في تقسيم المنشور الى الأقسام التي مرت الإشارة اليها آنفاً . بل هو نوع آخر أسماء القرآن الكريم (مثلاً) من قبل أن تعرف علوم الأدب « المثل » ومن قبل أن تسمى به نوعاً من الكلام المنشور وتضعه مصطلحاً له . بل من قبل أن يعرف الأدباء « المثل » بتعريفهم الذي سبق ذكره . فقال في سورة البقرة : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) .

المثل --- المثل في القرآن الكريم

فالمثل يعرف القرآن الكريم هو الكلام الذي يقصد به تصوير حالة ، أو واقعة ، أو شخص ، لالفاظ القارئ والسماعين بالصورة التي صورها لهم ، أو لا يناسبهم بها ، سواء أطلال الكلام أم قصر ، وأشاع وفشا أم بقى في لوحته الالامعة مكتوباً محفوظاً . وهذا الضرب من الكلام من أبلغ صور التشبيه المركب ، وأدق ما يرمى إليه البليغ من الوسائل التي تبرز المعاني الخفية المضجرة ، سافرة الوجه ، واضحة الملامح ، جميلة المنظر . وإلى مثل هذا يقصد المصورون وأشباهم في وسائلهم الميسورة لهم ، وبهذا يتفاوت مقامهم ، وتبارى مهارتهم . وحسبك معرفة بفضامة هذا الضرب من الكلام أن جاءت به الكتب المقدسة كثرة في إرادته . « تراهم ركعاً سجداً ينتعون فضلاً من الله ورضواناً سيحاً في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وحسبك علماً بتأثيره في النفوس ، أن القرآن الكريم صدع بضرب الأمثال في كل مقام ومقال ، وأنه في أوائل هجراته المشرقة بنور الهداية بادر بضرب المثل . فانه بعد أن قسم الناس في مفتح سورة البقرة الى متقى مفلاح ، وكافر عنيد ، ومنافق خاسر ، ضرب مثلاً للمنافقين ، مسوراً حالتهم العجيبة ، بما يخفون وما يبدون ، ويسيرهم المعوج سير اليربوع في نفاقه ، وبتردد بين التظاهر بالايان وبين ايذان الكفر وإضماره ، فاذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزئون ، وبخبرتهم في أمرهم وعدم استجابتهم لدعوة الحق ، وبجبنهم وخورهم وخذلانهم ، وبانصرافهم عن طريق الصواب وعن تدبرهم ما يسمعون من الحكمة والموعظة . أقول ضرب لهم مثلاً رمم فيه هذه المعاني السكامة في نفوسهم رسماً يكاد يلمس باليد ، ويشاهد بالعين ، فقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمي فهم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . يجعلون أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف

أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم
 أن الله على كل شيء قدير . وخص المناق بالتمثيل دون المقتضى والكافر ، لأن أمر كل منها
 واضح ، وطوية كل منها معلومة صريحة ، ذلك معلى إيمانه مفلج ، وهذا معلى كفره
 معاند مبلس . فكل منها معروف الحال ، مكشوف السيرة . بخلاف المناق الخائر المحير ،
 المبطن للإنكار ، المستتر بالإيمان ، الخداع البغيض ، المتلون تلون الحرباء ، الغامضة سيرته ،
 الخبيثة طويته . فهو الحري أن ترسم صورة الطبيعة ، ويكشف عن وجهه البشع الدميم ،
 ليعرف بين الناس ، فيتهقوا شره ، ويتجنبوا طرقه الملتوية ، وعمله المنكر ، وسيرته الشاذة .
 إن أمثال القرآن الكريم آيات بيّنات تصور المعاني الدقيقة والحالات الغامضة ،
 تصويراً يارزاً تكاد تلمس معالمه . تبعث في النفوس فرحة ، أو هيبة ، أو إرشاداً أو كشفاً
 عن حقيقة ، أو هداية إلى الرشد ، أو نحو ذلك من المعاني الرفيعة التي توجه النفوس إلى
 قبة الخير ، ثم إلى تزكيتها وتطهيرها من أدران الجوح والغفلة ، وترجي في القلوب أنواراً
 تنظر بها إلى عجائب الكون ، فتقرأ سفر الوجود آيات بيّنات ، وتترك فلسفة العالم
 العميقة الغور . فكل مثل من أمثال القرآن الحكيم يشرح للناس حقيقة من حقائق
 الاجتماع ، أو ضرباً من عجائب الطبيعة ، أو حجة دامغة لإثبات أمر انصرف عن ادراكه
 كثير من الناس ، أفك عنه من أفك ، وعاند فيه من عاند .

واليك ما يسر لي جمعه من أمثال القرآن الكريم بالمعنى الذي اصطلح عليه :

— ١ —

في تصوير حالة المناققين وما هم عليه من الخيرة والخبت والغبوة والجن :
 « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً . فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في
 ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمي فهم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات
 ورعد وبرق يجعلون أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . »

المثل - المثل في القرآن الكريم

(صَمَّ) جمع أصم ، وهو من فقد حاسة السمع . (بُكِم) جمع أبكم ، وهو الأخرس .
(كصَيْب) الصيب هو المطر ، أو المطر المنهمر المتدفق فقد جاء في الأثر ، اللهم أسقنا غيثاً
(صيباً) أي منهمراً متدفقاً .

فهذه الصورة التي رسمها المثل في ذهن السامع المتنافق يعجز المصور أن يصورها بريشته وأدهانه ، وإذا أجهد نفسه في دقة التصوير ، فلا مناص له من أن يستمد المعونة من صورة هذا المثل ، وإذا رافقه التوفيق في المعونة فلا إخال أنه يقدر أن يبعث إلى ذهن الناظر من الصورة التي أجهد نفسه في إخراجها ، بمثل ما يوحي به هذا المثل من أشكال ، ومعاني وحالات ، وشؤون ، وحركات ، وسكنات ، وتخيير ، وتخييط ، وغباوة ، وسوء فهم ، وجبن ، وتعشق للحياة ، ونحو ذلك مما انطوى عليه المتنافق ، وجبل عليه من الأخلاق الرذيلة ، التي أوحى بها المثل .

- ٢ -

في تصوير حالة المصلح الداعي إلى الرشاد ، بين الضالين ، المعاندين وهو يدعوهم إلى الحق والصواب وهم عنه معرضون ، وقد نادوا على سيرهم في غيهم .
« ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً . صم بكم عمي . فهم لا يقلون » .

« ينعق » يصيح ، يقال نَعَقَ الراعي بغيره أي صاح بها وزجرها .
فهذا المثل انزع صورة من حالة الراعي ، بين غنمه ناعقاً بها ، صائحاً زاجراً لها ، وهي لا تعي ما يقول ولا تفهم منه شيئاً ، فلا تدرك منه غير صياحه وندائه ، لأنها لا تملك جهاز إدراك المعنى والفهم . وشبهه بها حالة المرشد المصلح بين الضالين المعاندين ، وهو يعظم ويخطب فيهم ، وهم لا ينتفعون بما يقول ، ويصرون على ما هم عليه ، وهم يملكون جهاز الإدراك ، فلم يأتهم آذان ولكن لا يسمعون بها سماع تفهم ، ولهم عيون ولكن عاجها

غشاوة الضلال فلا يبصرون بها منار الهدى ، ولهم ألسن ولكن لا تنطق بالصواب والحق ، فهم صم بكم عمي ، فهم لا يعقلون . فلا فرق بينهم في النتيجة وبين غنم الراعي وهو ينطق بها .

— ٣ —

في تصوير مكاسب من يبذل ماله في سبيل الخير ، وما يجنيه من الثمرات .
« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

فتصور بداعة منظر لشخص يدفع درهما في سبيل الخير لا يقصد به إلا وجه الله والمنفعة العامة وبجانبه شخص آخر يزرع حبة من حنطة مثلا في أرض طيبة ، فنبتت الحبة ونمت وتفرع منها سبع سنابل أو أضعاها ، خضر مليئة بالحب ، تحمل كل واحدة منها مائة حبة أو أكثر يأخذها زارع الحبة ، ودافع الدرهم ينظر ، مؤملا أن ينال من الثواب الكثير مثل ما نال صاحب الحبة من الحب الكثير . فهذا التمثيل يشرح مكاسب عمل الخير أتم شرح ويدعو إلى عمل الخير ويسوق إليه .

— ٤ —

في تمثيل الباذلين أموالهم مباحاة ورثاء للناس أو لغرض شخصي ، لا يقصدون به فعل الخير .

« فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً . لا يقدرون على شيء مما كسبوا » .

(صفوان) صخر أملس . (وابل) مطر شديد ضخيم القطر (صلداً) صلباً أملس .
فهذا المثل يبدي أجلى منظر لحالة المنفق ماله رثاء الناس ، وما كسبه من الثمرات ، وما آلت إليه نفقته من البطلان والخسران .

— ٥ —

في حالة الباذلين أموالهم بسخاء من أنفسهم بغية مرضاة الله تعالى وإرضاء ضمائرهم ،

المثل — المثل في القرآن الكريم

وما تؤثله أعمالهم من خير محقق .

« ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبلياً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلت » .

(جنة) بستان . (الربوة) ما ارتفع من الأرض . (الأكل) الثمر والرزق . (الطل) الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

فالمثل هنا يرسم صورة زاهرة تميز عن نفقة المنفقين أموالهم للخير وما تؤتبه من نفع . فهو يصورها بستان — وهي تجمع أنواع الثمرات — قائمة على أرض مرتفعة تستدر المطر الشديد فيصيبها ، أو يصبها الطل إن لم يكن مطر . فهي رياً دائماً ، متحققة الإثمار على كل حال ، يتضاعف ثمرها لزيادة ماؤها وطيب تربتها . فنفقة الخير الخالصة لله هذه صورتها .

— ٦ —

في من يعطل آثار عمله الصالح بالحافه إياه بعمل مفسده . فن ينفق ماله في سبيل الخير ثم يتبع نفقته بالمن على من أنفق عليه أو بأيدائه بتعبيره بها ، فإن كرامة نفقته تزول ، ويمسح أثرها . وقد ضرب هذا المثل في هذا المضمار .

« أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » .

(إعصار) ريح تهب من الأرض كالعمود ، أو ريح تثير السحاب ، أو التي فيها نار .

يتضمن هذا الكلام مثلاً بارعاً لمن يحصل على نتائج مرضية من جهوده ثم يطرأ عليها ما يحوها من الوجود والاعتبار ، وليس له قوة ولا نصير لدفع ما ألم بها .

— ٧ —

في حالة المرابي من انشغال باله بأعماله بلا تعب ، وذهوله عن نفسه باضطراب ذهنه دائماً في حساب الدينار والدرهم والفلس من الربا ، وتحضير ما يدعو الى خضوع المراجعين لأمره من أساليب ، وتعمقه في الحساب الدقيق .

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

منير القاضي

أي كما يقوم المجنون في حال جنونه إذا صرع وسقط ، فما أصدق هذا التصوير المعجز ،
في المرابي . يقال : (تحبظه الشيطان) إذا مسته بأذى .

— ٨ —

في بيان مصير ما ينفقه ذوو المبادي^٤ الفاسدة الرخيصة لتدعيم مبادئهم ، وما تخلفه
تلك النفقات .

« مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا
أنفسهم فاهلكته . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .
(الصرٌّ) شدة البرد .

فهذا التصوير يؤدي أوضح بيان عن مغبة مثل هذه النفقات ، فأنها تضمحل ولا يبقى
لها أثر ، كما تهلك الريح العاصفة ما أتت عليه من زرع ونحوه .

— ٩ —

في تصوير حالة من يرجع الى ما كان عليه في ماضيه الأسود ، بعد ان دخل في حياة
مشرقة بنور الصلاح والهدى .

« كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى إئتنا . قل
إن هدى الله هو الهدى » .

(استهوته) إستنزله ، أو زينته له هواه . (حيران) لا يهتدي لسبيله .

— ١٠ —

في المقارنة بين من يستجيب للمصلحين فيستمع القول ويتبع أحسنه ، فيصبح عضواً
صالحاً في المجتمع ، وبين من يتقى عاكفاً على ضلاله .

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يحشى به في الناس كمن هو في الظلمات ليس
بمخارج منها » .

— ١١ —

في طيب الأصل وزكاة المنبت ، وفي فساد الجذم وخبث المنبت .

المثل — المثل في القرآن الكريم

« والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » .
(نكداً) قليلاً عسراً .

فما أدق هذا التمثيل في طيب الأعراق وخبثها وما ينبعث عنها من نتائج صالحة أو طالحة .

— ١٢ —

في من يريم على سوء خلقه ، ويقوم على قبيح عمله ، ولا ينفع فيه ما يدعو إلى تعديل ما اعوج فيه ، وتبديل ما قبيح منه ، فهو لا يقلع عن خطئه .

« فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا » .

(إن تحمل عليه) أي تهاجمه . (يلهث) يخرج لسانه نعباً أو عطشاً .

ولا تخفى طرافة هذا التمثيل ودقته في الموضوع .

— ١٣ —

في العاقل الذي لا ينتفع بما يملكه من وسائل الانتفاع .

« ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين

لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون » .

(ذرأاً) خلق . (قلوب) عقول . القلب يطلق على العضو المعروف في الإنسان الذي

يضخ الدم الواصل إليه ، إلى المجاري الدموية . ويُطلق على العقل . والقرآن الكريم جرى

على هذا الاطلاق الثاني ، وكذلك أكثر الأحاديث النبوية . فهذا المثل يصور من ملك

العقل والبصر والسمع — وهي وسائل الفهم — ولم ينتفع بها فيما يراه ويسمعه ويتذكره ،

يصورهم بالأنعام التي لا تملك العقل فلا تدرك مما تراه وتسمعه إلا قدر ما يهديها إلى رزقها

وما يشعرها بما يضرها — ألطمها بجورها وتقواها — بل قدر أن الأنعام أحسن حظاً منهم

لأن الأنعام تدرك هذا القدر من ضرورياتها مما تسمع وترى ، وهم غافلون .

في تصوير صفة الحياة الدنيا في تقلبها، كتجربتها بعد انشراحها، وانقباضها بعد انغلاقها، وانطفاء جماها بعد بهجتها وازدهارها، وعسرها بعد يسرها، وضيقها بعد اتساعها، فهي لا تستقر على حال فلا تصلح أن تكون منتهى ما يتطلبه العاقل، والغاية المثلى التي يجري وراءها:

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام. حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس. كذلك تفصل الآيات لئلا يتفكرون. »

(زخرفها) كمال حسنها وألوان نباتها . (حصيداً) محصودة لا زرع فيها (لم تغن) لم تسكن .

فهذا المثل المبين لتقلب الحياة من صفو إلى كدر، ومن زهر إلى عدم، ومن أمل إلى يأس، ومن رجاء إلى قنوط، لأبلغ مثل لقوم يتفكرون. يعجز أمر المصورين من تصوير ما جاء به، منها أوتي من أصباغ وریش، ويقف النسخات عند حدها منها أوتي من ألواح طيعة وأزاميل قوية حادة.

في بشاعة وجوه الكافرين يوم الحساب:

« كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً. »

(أغشيت) غطيت . فالوجوه الكالحة المظلمة من سوادها، لا تمثل بأبلغ من أن تكون قد غطيت بقسطع من الليل المظلم، لا بقطعة واحدة منه . فالذهن يستخلص من هذا المثل الموجز صورة بالغة في السواد والقبح، فتدركه عظة بالغة، لا تدركه من لوحة المصور وان عظم حجمها وأغتمق سوادها فأحماً . فما أبلغ هذا الإيجاز .

المثل - المثل في القرآن الكريم

- ١٦ -

في من يتطلب الشيء ممن لا يقدر عليه ، أو من يطلب المحال .
« كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالعه . وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » .
فالقرآن العظيم ضرب هذا مثلاً لعبدة الأوثان ونحوهم ممن يتضرعون إلى غير الله طالبين منه ما يرجون حصوله وتحقيقه من الشؤون . ومن المحال أن يستجيب لهم .
ولا أبلغ من صورة هذا المثل في الموضوع .

- ١٧ -

في الموازنة بين الضال والمهدي .
« مثل الضالين كالأعمى والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلاً » .
لا يستويان بلا شك .

- ١٨ -

في المقايضة بين الضال والراشد ، والضلال والهدى :
« قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » .
فالضال كالأعمى الذي لا يرى المصلح ولا يسمع ما يقوله سماع تفهم ، والمهدي
الراشد بصير يرى المصلح ويسمع ما يقوله سماع تفهم .
والظلمات تطمس السبل والصوى ، وتضل الدليل وتغشى الحقائق ، وهكذا الضالون .
والنور ينير السبل ويجلس الصوى ويظهر الحقائق ، وهكذا المصلحون .

- ١٩ -

في الحق والباطل وثبات الحق وزوال الباطل :
« أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً . وما توفدون
عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد
فيمذهب جفاءً واما ما ينفع الناس في الارض . كذلك يضرب الله الأمثال »

(رايبا) عالياً على وجه الماء . (حلية) ما يزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .
(جفاء) ما رمى به الوادي الى جنباته من الغشاء .

صور هذا المثل للحق والباطل صورة مشتقة من سبيل الوديان بعياد الأمطار الغزيرة الجارفة تحمل على وجهها ما اعترضها من غشاء زبد رايباً ، كما تحمل معها مواد نافعة للزراعة والعشب ، فهذا السيل الطافي يرمي في مسيره بالزبد الى جنباته ، إذ لا فائدة فيه للأرض فيذهب جفاءً ، وما ينفع الزراعة والعشب من المواد كالغرين ونحوه ، يسقطه على وجه الأرض ما كثر فيها لينتفع منه الناس . فالباطل مثل هذا الزبد يذهب جفاءً وان جاء ركباً ظهر الماء . وما ينفع الناس يبقى ثابتاً على وجه الأرض وان جاء سائماً مع الماء . ويسمى المثل هذه الصورة بحال المعادن من ذهب وفضة وحديد وصفر ونحوها ، عندما يراد الصنع فيها فتسلط عليها حرارة عالية تصهرها حتى تذوب فيطفئوا ما خالطها من مواد خبيثة غريبة عنها زبد رايباً على وجه الدوب ، فينفي الصانع هذا الزبد ويرمي به جفاءً وتمسكت مواد أصل المعادن في محلها محتفظاً بها ، فيصنع منها الحلي للزينة ، أو الأمتعة الأخرى من سائر مرافق الحياة . فهذا الزبد يمثل الباطل الذي يزول ويرهق وان علا وقتاً ما ، وأصل مواد المعادن التي تبقى للانتفاع منها تمثل الحق الذي يبقى راسخاً في محله يصارع الباطل فيزفه .

— ٢٠ —

في صفة الجنة التي يستحقها المتقون بوعده الله وتوابه :

« مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهاراً كأنها دائم وظلها . تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار . »

(عقبى) جزاء . فالعقبى جزاء الأمر ، يقال أعقبه أي جازاه .

فهذا المثل يصور الجنة التي وعد الله تعالى المتقين بها . وما أُلطف صورتها في المثل ؟ . فهي عقبى الراغب فيها وجزاؤه ، كما ان النار جزاء الكافر بالله الجاحد نعمه وفضله .

— ٢١ —

في مغبة أعمال المفسدين وما تقدموا به من خير على زعمهم :
« مثل الذين كفروا برهيم أعمالهم كما ما اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يتدرون مما
كسبوا على شيء . ذلك هو الضلال البعيد » .
(يوم عاصف) يوم تعصف فيه الريح أي تشتد .

يصور المثل أعمال المفسدين وآثارها في سبيل الفساد برما عصف به الريح في يوم
استمرت فيه الرياح العاصفة ، (يوم عاصف) فحقت آثاره ولم يبق منه شيء ، ما يقدر صاحبه
على الاحتفاظ به والإفادة منه . فاصبحت أعمالهم المبينة على الفساد والإفساد هباءً منثوراً .

— ٢٢ —

في قوة الكلام الطيب ونتائج الطيبة ، وقوة الكلام الخبيث :
« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » .
(اجتثت) استوصلت . أي قطعت بعروقها ، لضعف العروق .

الشجرة الطيبة مثل النخلة من الأشجار الراسخة العروق في الأرض لا تقتلعها الرعازع ،
تعطي الناس ثمراً طيباً في موسم الإثمار حيناً بعد حين . والشجرة الخبيثة مثل الخنظل من
الأشجار التي لا قرار ولا رسوخ لها في الأرض فهي تفتزع من أصلها بأقل عمل ، وتقتلع
بجذورها بأدنى نعل ، ولا يجتني منها غير خبيث الثمر وورذاله . وكذلك الكلام الطيب
يدخل في القلوب فيبقى راسخاً فيها ، وتحفظه الكتب فيبقى حياً فيها إلى ما شاء الله ،
يغذي النفوس بطيبه كلما رددته الألسن ، وينفذ من الأسماع إلى قرارات النفوس فيستقر
فيها ، فتتم بطيبه وخيره ، وتهنأ بثماره المعنوية . والثمار المعنوية خير وأبقى من الثمار
المادية . والكلام الخبيث لا يقوى على القيام بنفسه ، تكهره الأسماع ، وتمجسه النفوس ،

منير القاضي

فلا قرار له ولا بقاء ، كالضباب يعطي الرياض برهة فيزول ، والنفوس منسوبة منقبضة ، والقلوب له كارهة .

- ٢٣ -

في من ينجز عملاً صالحاً مفيداً له أو له وللجتميع ، ثم يفسده ويبيطه بعد إتمامه بعمل تقيضه ، فيخسر العائدة والثواب ، ويضيع الوقت بالمعبث .
« ولا تكونوا كالتى نقضت غزوها من بعد قوة أنكاثا » .
(النكث) بالفتح النقض . و (الينكث) بالكسر ما نقض من الغزل والأكسية ، جمعه (أنكاث) .

فما أوجز هذا المثل ؟ وما أدقه ؟ في تصوير مثل هذا العمل الذي لا يأتي به إلا أخرق أحقر .

- ٢٤ -

في زوال النعمة بكفرانها بطراً ، وحلول النعمة بدلها ، جزاءً وفاقاً .
« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .
الرزق (الرغد) الطيب الواسع . يقال رغد عيشه رغداً إذا طاب واتسع .
فشكر النعمة بالعمل بها في الصالحات ، يديمها . وكفرانها بالعمل بها في الموبقات والتبذير ، وبالتخلف عن الشكر ، يزيلها .

إذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم

فأمهر المصورين لو أراد أن يصور للذهن في لوحة ، قرية تتدفق عليها الخيرات الناعمة الكثيرة من سائر الأماكن والأطراف . وأهلها آمنون مما يسكدر صغومهم ، مطمئنون في رغد عيشهم ، ثم يأخذهم البطر ، فينصرفون عن رعاية تلك النعم العظيمة بالشكر ، الى كفرانها بالعمل خلاف مقتضى الشكر ، فتضيع النعم ، ويحل البؤس والنقم ، فيتبدل رغد

المثل - المثل في القرآن الكريم

عيشهم جوعاً ، ورغاهية أمنهم وحلاوة طمأنينتهم ، خوفاً مخرجاً مرأ ، أقول لو أراد المصور
الأمير أن يتحف الأذهان بتصوير هذه الشؤون والمعاني ، للاعتبار ، لوقف عاجزاً أن
يأتي بما يقارب ما يصوره هذا المثل الموجز لفظاً الواسع المنب معني .

— ٢٥ —

في المقايسة بين الصنم العاجز ، وبين الخالق القادر ، أو بين الأمة المستعبدة المقيدة ،
وبين الأمة الحرة الطليقة المالكه نفسها .

« ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق
منه سراً وجهرأ هل يستويان » .

صورة كلها بيان ودقة في إظهار البون الشاسع بين الفريقين ، ليدرك ذو اللب أي
الفريقين أحق بالاعتبار .

— ٢٦ —

في الموازنة بين الفساد البليد العاجز السكل على غيره ، وبين المصلح المستقيم اللامع .
« وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كمثل ثعلب مولاه أينما
يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » .
(الكسلى) الثقيل لاخير فيه ، جمعه كقول .

المثل يصور الذهن شخصين ، جمع أحدهما البكم والعجز والبطء وتقل الطبع ، على
من يعتمد عليه ، لا يأتي له بخير في أي عمل يوجه إليه . ويصور له شخصاً آخر مصلحاً ،
على نهج مستقيم ، يطلب من الناس الأخذ بالعدل في أعمالهم وتصرفاتهم . ثم يطلب منك
أن توازن بينهما في المهاتلة والمساواة .

— ٢٧ —

في الطاغى المغرور بحاله العاقل عن شكر الله (ان الانسان ليطغى ان رآد استغنى) .
« واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا

بينهما زرعاً . كلتا الجنتين آتت أكسبا ولم تظلم منه شيئاً وسفرنا خلالها نهرأ . وكان له عمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبعد هذه أبداً . وما أظن الساعة تأتيه ولن يردت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً . لئن لم يكن الله هو الله ربي ولا أشركت ربي أحداً . ولو لا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إذ ترى أنا أقل منك مالاً وولداً . فمسي ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً . أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً . وأحيط بشعره فأصبح بقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشركت ربي أحداً . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً .

(يحاوره) راجعه في الكلام . يقال (تحاوروا) أي تراجعوا الكلام بينهم .
(حسباناً) جمع حسبانة وهي الصاعقة والبركة (الصعيد) وجه الأرض (زلقاً) أملس لا تثبت عليه القدم . (غوراً) غائراً ذاهباً في جوف الأرض . (خاوية) ساقطة .
(عروشها) العرش ما يستظل به كالعريش ، وعرش البيت سقفه . وعرش الكرم فروعه ودواليه تفرش على قوائم خشب ونحوه فتصبح كالمضلة .

فما أبلغ ما صوره هذا المثل من غفلة المغرور ، وترفعه بغروره على من هو دونه في الثراء ، وتعسفه وزهوه وخيالاته في المحاورة ، وجهله قيمة نفسه وضمف قوته ، وازدراءه بصاحبه ، وما اكتسبه في غروره من خسران فظييع ، مع فقد الناصر له ، ومجافاة الناصر إِيَّاه . وما أبلغ هذه الصورة عظة للاذهان المدركة .

في زهرة الحياة الدنيا الفانية :

« مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح . »

المثل المثل في القرآن الكريم

(هشيماً) ياباً متكسراً . (تذروه) تفرقه وتطيره وتذهبه .
أبين مثل ، وأعمق تصوير ، للحياة الدنيا . فبينما نراها زاهرة عملاً الصدور فرحاً ،
والنفوس سروراً ، والقلوب آملاً ، إذا هي مظلمة داكنة ، طعمها صاب ، وأيامها عذاب ،
بعد أن كانت عذاباً ، ومباهجها أحلام وسراب ، كالنبات يهيجه الغيث الدائم ، فتصبح
الأرض مخضرة بيضرة ، شاذية عطيرة ، حتى إذا استغلظ وأستوى ، وبلغ المدى ،
أصبح هشيماً تذروه الرياح كأن لم يكن بالأمس . وهكذا الحياة الدنيا وزينتها .

— ٢٩ —

في ضعف الباطل ، ووهنه وخوره ، أمام الحق في سلطانه وقوته وسطوته .
« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .
(نقذف) زرمي . (دمغ فلان فلاناً) ضربه على دماغه . فالتعبير في المثل (يدمغه)
من باب المجاز (زاهق) مضمحل . زهق الباطل أي أضمحل .
أروع مثل يصور بأوجز عبارة ، مبلغ قوة الحق وسلطانه على الباطل ، وأن الباطل
لا يقوى على مصارعة الحق ، فالحق راسخ والباطل مضمحل .

— ٣٠ —

في من يخضع له الناس ، ويستمدون العون منه ، وهو في الحقيقة والواقع عاجز عن
الدب عن نفسه وماله .
« ضرب الله مثلاً فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو
اجتمعوا له . وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب) .
(استنقذه منه) خلصه منه واسترجعه إليه .

أطرف وأدق مثل في تصوير من يتخذ الناس سنداً وغوثاً في شؤونهم ، وهو أضعف
من الذباب وأحط منها في الواقع ، كالأصنام ، فانها عاجزة عن دفع الذباب عنها . بل هي عاجزة عن
استرداد ما يأخذه الذباب عنها من غيوب ضمخت بها ، ودهون مسحت بها . فما أسفه

من يعبدها ، وما أجهل من يستنجد بها . ومثلهم في الحكم من يتخذ شرار الناس أئمة ،
ومضاعفهم قادة . وضلّالهم هداة . والله الأمر من قبل ومن بعد .

— ٣١ —

في كيفية استيلاء الله تعالى على العالم ، وانكشاف العالم وظهوره بوجوده وقدرته
وجكته :

« الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كأنها كوكب دريُّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد
زيتها يضئ ولو لم تمسه نار . نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء . ويضرب الله
الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

(المشكاة) الطاقة غير النافذة . وقد شرح الإمام الحجة أبو حامد الغزالي عليه الرحمة
في رسالته (مشكاة الأنوار) هذا المثل العظيم شرحاً اقتبس أنواره من نور الآهية ،
بالهام من تجلي الربوبية .

وليس بمقدوري أن أوفي هذا المثل المعجز حقه من الشرح والتأويل في هذا المقال الموجز
بيد أنني اعتقد أن من تدبره وتعمق في فهمه ، وله ذوق صوفي ، وعلم بالأشعة والأنوار ،
يدرك منه تصوراً بليغاً لوجود العالم وقيامه بوجود الواحد القهار ، الذي ليس كمثل شيء
وهو السميع البصير .

— ٣٢ —

في تصوير مبلغ أعمال المفسدين — ومنهم الكافرون بالله أو بآئمه — المخادعين ،
ومقدار نفعها والاتنفاع منها .

« والذين كفروا أهمّاهم كمرابٍ بقية بحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده
شيئاً ووجد الله عنده فوَّكاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد

المثل - المثل في القرآن الكريم

يراهما . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .
(السراب) شعاع يرى على الأرض وسط النهار في شدة الحر ينسب الماء . (فيمة)
جمع قاع . (الجي) عميق . (الضآن) العطلشان .
يصور هذا المثل أعمال المفسدين التي يخدع ظاهرها ، وهي لا قوام لها ولا حقيقة
تقوم عليها ، بالسراب الذي يخدع الضآن ويضله ، فيسمى اليه متلفحاً طلباً لذاء ، فإذا جاءه
لم يجد ماء . فيخيب أملة ويضيع سعيه ، ويندم على ما فات ، إذ لم يفتنع بتشبهه بالسراب .
وهكذا أعمال المفسدين . وهي من وجه آخر كقطع الليل المظلم لا يتبين منها خير وليس
لها بصيص من نور يرمق ، بل هي حالكة أشد الحلكة ، كظلمات في بحر عميق تغتد
الظلمة فيه وحشة ، تراكب الأمواج عليه بعضها فوق بعض ، فتزداد الظلمة حلكاً .
سماؤه سحب ، وماؤه عباب . نهاره فاحم ، وليله قائم . ظلمات بعضها فوق بعض .

- ٣٣ -

في تصوير من يلتجئ في اتقاء سوء والاستزادة من الخير ، الى ملجأ وهين لا يدفع
ضراً ، ولا يندراً شراً . أو يأوى الى ركن ضعيف ، لا يسند من ركن اليه ، ولا يحمي له ظهراً .
« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنى أوهن
البيوت لبيت العنكبوت » .

(الولي) النصير والمنعم ، جمعه (اولياء) ، (أوهن) أضعف .

ما أصدق هذا التصوير البارع لمن يستقوي بغير الله تعالى ، ويستعين في درء
المكارد عنه بغير القادر القاهر ، ويتخذ غير الله تعالى ولياً له .

- ٣٤ -

في خطأ اعتقاد الإنسان بأن يكون لله شريك في ملكه ، بدليل مما عليه الانسان
في ملكه .

« ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء

في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم . كذلك تفصل الآيات لقوم
يعقلون . بل اتبع الدين فاعلموا أهواءهم بغير علم .

(ما ملكت أيمانكم) أي ممالئكم .

وجه المثل ، هو أنكم لا تسلمون بأن يكون لمالئكم شركة معكم في أموالكم
وأرزاقكم ، ولا تعتبرونهم سواء معكم في تلك الأموال ، فتلاحظونهم كما تلاحظون
أنفسكم فيها ، ولا ترضون بذلك ، فينبغي أن يكون الأمر كذلك في الله تعالى مع عباده ، فلا
يجوز أن يكون لأحد من عباده شركة معه في شيء من ملكه . فما لا ترونه صحيحاً فيكم ،
كيف يجوز لكم أن تروا صحيحاً في حق الله تعالى . فالصورة التي لا تستبجونها لأنفسكم
لا يجوز أن تستبجوها في حق الله تعالى ، والحال التي لا ترضونها لأنفسكم كيف ترضونها
لله تعالى . فلا شريك لله تعالى في ملكه .

— ٣٥ —

في تمثيل حالة من رافقه الخذلان . وجفاء التوفيق . وعدته الهداية ، وحالته الضلالة ،
فأصبح لا يرى نور الحق ، ولا منار الصواب . ولو كانت له عينان برأفتان .
« إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم
سداً ومن خلفهم سداً فأغشىناهم فهم لا يبصرون » .

(الغُلّ) ملوق من حديد أو قد يجعل في العنق أو في اليد . جمعه (أغلال) . (المقحون)
جمع اللحيين ، (مقمحون) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها . يقال (قح الغُلُّ
الأسير) ترك رأسه مرفوعاً لضيقه . (فأغشىناهم) غطيناهم .

لو أراد المصور أن يصور مثل هذا الخائب الخاسر ، تصويراً يوحي إلى الدهن حالة
الشخص الذي لا يرى نور الهدى الساطع ، ولا مناره اللامع ، وهو حديد البصر ، عاني
النظر ، لما استطاع في أداء مراده أن يخرج عن الحدود التي رسمها هذا المثل في تصوير
تلك الحالة .

في تمثيل عناد الجهول العنيد الذي لا يتدبر ولا يتذكر .
 « وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما
 فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من
 شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين .
 قالوا إنا تطيرنا بكم لنزلهن لتنتهوا لئن لم تنتهوا لنرجنكم ولنجننكم ومننا عذاب ألِيم . قالوا طأثركم معكم
 إن ذكرتم . بل أنتم قوم مسرفون . »

(فعززنا بثالث) فقويتاها بثالث ، يقال (عززه) أى قواه . (تطيرنا) تشاءنا ،
 يقال تطير به وتطير منه ، والاسم (الرطيرة) وضدها القأل ، كأن يسمع المريض (ياسالم)
 وطلب الضائع (يا واجد) .

كتب هذا المثل أوضح تصوير للعنيد الجهول : يكذب بلا دليل ، ويرد الشاهد بلا
 حجة ، ويقيم نفسه مقياساً لغيره فلا يجوز أن يكون من هو من نوعه ومثله أرفى منه ،
 وإذا أعوزه الدليل أصر على الإنكار والتكذيب ، لا يسأير بحجة الخصم أباه ، وإذا خسر
 الحجة لاذ بالتشيع والتهديد ، وهو بعد هذا لا يرجع إلى التفكير في نفسه وسوء
 عمله ، ليعرف نفسه ، ومن هو ، وكيف يجب أن يناظر ويجادل ، ويكسب الصواب . إنه
 لمثل عظيم ، من عزيز حكيم .

في تصوير الفرق الكبير واليون الشاسع ، بين الخالص لجهة واحدة وبين المرتبط
 بجهات مختلفة : كالموحد والمشارك ، والمخلص والمنافق .

« ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان
 مثلاً . الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . »

(منشاكون) مختلفون عيرون ، أي متنازعون صعبة أخلاقهم ، والشكس ، هو صعب الخلق ، جمع (شكس) . (سلكها) خالصاً . نعم . لا يستوي المستقل والمشارك ، فإن بينهما تفاوتاً عظيماً في السلوك ، والتصرف ، والاستقلال ، والمنزلة . فالمشارك منحط في هذه الأمور ونحوها عن الموحد . والمنافق بعيد فيها كل البعد عن مقام المخلص .

— ٣٨ —

في تصوير النعيم المقيم ، والمعيشة الرغدة .

« مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . ولهم فيها من كل الثمرات ومنفرة من ربهم » .

(آسن) متغير الطعم ، ومثله الآجن ولكن تغير الآجن شديد يعاقبه الشارب .
(لذة) لذينة .

ما أطيب العيش في هذا المعنى وما أله . جمع أطيب النعم ، ولا سائل فيه ولا مسؤول ، ولهم منفرة من ربهم .

— ٣٩ —

في تمثيل الحياة الدنيا ، الزاهرة ، فالذابة ، فالقانية .

« إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً » .
(أعجب الكفار) أعجب الزراع . فالزراع يسمى كافراً وكذلك الليل والبحر ، من كفر الشيء إذا غطاه (حطاماً) ما تكسر من اليبس .

تصوير بليغ لحياة تبسم فتعيس ، وتزهر فتذبل ، وتشرق فتغيب ، وتنمو فتتوت . وما عند الله خير وأبقى .

المثل --- المثل في القرآن الكريم

--- ٤٠ ---

في جلال القرآن العظيم ورزاقته ، وما يحمله للناس من حكم وعلوم وهدى وموعظة ،
وما ينطوي عليه من ترغيب وترهيب ، وتبشير وإنذار .

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . وتلك الأمثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

(خاشعاً) ذليلاً خاضعاً . (متصدعاً) متشققاً . الصدع الشق في شيء صلب . فاصدع
بما تؤمر ، أي شق جماعتهم بما تؤمر به وهو التوحيد .

هكذا القرآن العظيم كلام الله تعالى ، جلالة ووقاراً وعظمة . فهو حري أن تذلل وتخضع
له الجبال التي هي أقوى أوتاد في الأرض ، وأن تنشق طبيئته وجلاله ، لأنه أقوى منها
وأرسخ . — فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخراً موسى صعباً . —

--- ٤١ ---

في تصوير من يملك خزائن العلم ولكن لا يفيد منها شيئاً ، وهي أقرب إليه من جبل
الوريد :

« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا . بئس مثل القوم
الذين كذبوا بآيات الله » .

(أسفارا) كتباً ، جمع سفسر وهو الكتاب .

أطرف تصوير ، وأطرف تمثيل ، وأصدق تقرير ، لمن كانت وسائل العلم منه على التمام
وهو لا يستفيد منها ، أو كان عالماً بعلم ولكن لا يعمل به . فهو شبيه بحمار أوفر كتباً .
— والكتب أوعية العلم --- فإن كلاً منهما لم يستفد من الكتب التي لديه ، والعلم الذي
يحملة على ظهره أو في صدره .

--- ٤٢ ---

في تمثيل من أوتي بسطة في الجسم ، ورثياً في المنظر ، وزخرفاً في القول ، وهو أحمق

وعديد ، يخاف من ظله :

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم . وإن يقولوا تسمع لقولهم . كأنهم خشب مسندة . يحسبون كل صيحة عليهم » .

(خشب) جمع خشب . (مسندة) مماله الى ما يسندها كالحائط .

وهذا خلاف من أوتي بسطة في العلم والعقل والجسم ، فهذا الثاني عالم قوي أخو صدق وذلك الأول جاهل جبان عدو ، خداع منظره ، زُخرف قوله .

— ٤٣ —

في أن كل امرئ يحزى بعمله ، له ما كسب وعليه ما اكتسب ، لا ينفعه أو يضره في ذلك حسب أو نسب .

« ضرب الله مثلاً للذين كفروا أمراً نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فقبل ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلاً للذين آمنوا أمراً فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

ما أوضح هذا المثل وأصدقه في ميزان الأعمال ، فإن الأعمال أنفسها هي الموازين والمعايير والمعايير لأنفسها ، لا دخل في هذا لتسبيح ولا لصديق حميم . (يا فاطمة بنت محمد أصحلي فلن أغنى عنك من الله شيئاً) .

— ٤٤ —

في تمثيل مقام الصادقين المخلصين في أعمالهم الصالحة ، جزاء وفاقاً :

« متكئين فيها على الأرائك لا يروى فيها شمساً ولا زمهريراً . ودانية عليهم ضلالتها وذلك قطوفها تذليلاً . ويطلق عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً . قوارير

المثل - المثل في القرآن الكريم

من فضة قدروها تقديراً . ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عيناً فيها تسمى سلسبيلاً . ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً . وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً . فالهم ثياب سندس خضر وإستبرق وخطوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً .

(الأرائك) جمع أريكة وهي سرير منجد مزين في قبة ، أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش . (زمهريرا) برداً شديداً . (قطوف) جمع قطف ، وهو العنقود وكل ما يقطع من الثمار أي يقطف (مزاجها) مزاج الشيء ما يخلط به . والزنجبيل مادة تخلط بالماء فتستلذ العرب بشربه (سندس) نوع من رقيق الديباج . (إستبرق) ما غلظ من الديباج .

تصوير وتمثيل لمقام كريم ، فيه نعيم مقيم ، وملك عظيم ، ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب .

هذه طائفة من أمثال القرآن العظيم باسئال القرآن نفسه ، تصور لك الحقائق ، وتهدى الى سواء السبيل .

وطريقة ضرب الأمثال الصحيحة في كشف الحقائق ، وبيان الأمور المهمة ، وتوضيح الشؤون المعنوية ، طريقة تعليمية مثلى ، لا تتيسر إلا لمن أسبغ الله عليه فضله ، والله ذو الفضل العظيم . كالإمام الحجة الغزالي عليه الرحمة ، وأضرابه من الأئمة الذين أقاموا أنفسهم وعاطفاً مرشدين ، وهداة مخلصين . فقد سلكوا في إرشادهم هذه الطريقة المثلى .

« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون » .

— الأمثال العامية —

في العربية العامية العراقية أمثال وفيرة سائرة في بغداد والموصل والبصرة وسائر المدن الأخرى ، وفي الأرياف والقبائل . أمثال تحمل معاني حكيمة بالفاظ موجزة ، لا يقل عمق معانيها ، وإيجاز عباراتها ، وقوة النطق بها ، عن أمثال الجاهلية وماحصل بعدها من الأمثال التي جمعها السلف . ولا شك أن الشطر الأكبر من هذه الأمثال قد ضاع . فان الرقعة الطويلة التي وقدها العرب عن الأدب ، أضاعت عليهم شيئاً كثيراً منه . وهذا النوع من الأمثال ليس من قبيل الأمثال القرآنية التي انتهينا من الكلام فيها آنفاً ، وإنما هي من قبيل الأمثال المبحوث فيها في علم الأدب والتي جمع أسلافنا من الأدباء الشيء الكثير منها على ما مرّ ذكره في صدر المقال .

إن في الأرياف العراقية والمشارب العربية أدباً لم يطرق أبوابه أحد من الأدباء ، أو هواة الأبحاث الأدبية . فلم يجشم أحد منهم نفسه كلفة التتبع والاستقراء لجزئياته ، ولم يجهدوا في جمع مقوماته ، ثم تصنيفها وتبويبها ، ونشر ما يستطلع منها ، كما فعل أسلافنا في النهضة العربية الثانية المعظمى ، بظهور الإسلام . مثل الأصمعي وابن الأعرابي وأبي زيد ، وحامد الراوية ، وخلف الأحمر والخليل الفراهيدي ، وعشرات أمثالهم . فقد جابروا سائر النواحي ، ورافقوا القبائل العدنانية والقحطانية فأقاموا بين ظهرانيهم سنين يجمعون مفردات اللغة ، وعيون الشعر ، وطرائف الأدب ، وبلغ الخطب والمحاورات ، وما إلى ذلك من فصول الأدب ومقوماته . فدونوا علوماً عربية ، واستنبطوا فنوناً أدبية ، حصرها ابن الأنباري في (زهته) باللغة ، والنحو ، والتصريف ، والمروض ، والقوافي ، وصناعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، والجدل في النحو ، وعلم أصول النحو . خلفوا ثروة أدبية عظيمة نمت وعظمت ، وأثمرت علوماً أدبية أخرى مثل علوم البلاغة : المعاني ، والبيان ، والبديع ، وغيرها من علوم تتصل بالأدب رأساً أو بالواسطة . ثم خلف من بعدهم خلف أخذوا إلى الراحة ، فاضاعوا من الأدب كثيراً ، ووقفوا به جامداً حصيراً .

أن في القبائل والأرياف من الشعر الرقيق ، والتشبيه العجيب ، والقصص الممتعة ،

المثل - المثل في القرآن الكريم

والأغاني الملهمة ، والألقام المثيرة ، والمحاورات اللطيفة ، والفكاهة الخلوة ، والثناء البليغ ، ونحو ذلك من مقاطيع الأدب وأبوابه ، ما تشرح به الصدور ، وتنفذ في القلوب . ولات حين إفاضة في الموضوع ، والبحث معقود في الأمثال العامة ليس غير . ولكني في هذا المقام أدعو الى الالتفات اليه ، والالتفاف الى محي الأبداع في الآداب ، والانضمام الى الراغبين في الطريف والمتطوعين في نصرة الأدب . هذا وإليك نماذج من الأمثال العامة العراقية :

١ - رَمَاتَيْنِ بِفَدٍ إِيدِمَا تَسْلِيْزِمُ : لا تَمْسِكْ رِمَاتَانِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ .
يضرب لمن يشغل نفسه بعملين في آن واحد فانه إما أن لا يستطيع إنجازهما أو ينجزهما ناقصين .
ان كلمة « فَدٍ » نلت بها اللغة العامية العراقية يستعملها العامي والمثقف والعالم والجاهل عند التخاطب استعمالاً كثيراً شائفاً فيقول مثلاً : (اخذت فدي كتاب جيد) أي اخذت كتاباً جيداً . و (اكلت فدي أكلة طيبة) . و (انطيتي فدي قلم) أي اعطيتي قلماً . فكلمة (فدي) فاعلة في استعمالهم مقام تنوين التنكير . واصل فدي (فرد) أي واحد ثم خففت الى (فدي) بحذف الراء .

٢ - لا شَيْشِشَ وَلَا كَيْبَابَ : أي لا تفرط ولا إفراط .
يضرب لمن يباليغ في الأمر أو يقتصد اقتصاداً كبيراً . و (الشيش) كلمة عامية غير عربية يقصد بها (السُقُود) الذي يُشوى به اللحم و (الكيباب) كتلة من اللحم الناعم تُسوى على الشيش باطرافه ثم تُشوى به فيكون كيباباً . (لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)

٣ - لا حِضَّتْ رِجْلِيْلَةَ وَلَا حِدَّتْ سَيْدَ عَلِيٍّ . أي لا هي احتفظت بزوجها ولا هي استطاعت أن تتزوج زوج آخر بعد أن ضيقت زوجها . فقد رجعت بخفي حين . والظاهر أن امرأة ذات زوج طمعت في زواجها برجل أعجبها لسبب ما اسمه

منير القاضي

(سيد علي) ففارقت زوجها بوجه من الوجود وأخلف (سيد علي) ظنهما فلم يتزوجها .
فضيقت زوجها ولم تظفر بسيد علي زوجها لها . فخرت الرجلين .

يضرب مثلاً لمن ضيع ما في يده من نعمة طمعاً في الحصول على أحسن منها لكنه لم يحصل على شيء ، فعض بسن الندم .

٤ - كل من يجر النار لكرصته . (الكرصة) الرغبة . أي كل امرئ يقرب نار (الموقد ، أو الكانون ، أو الأتون ، ونحوها) إلى رغيته ليشويه لمصلحته ومنفعته غير مبال برغيف غيره ونفعه .

يضرب لمن يعنى بمنافعه الخاصة ويحرص عليها ، من دون أن يلوي إلى مصالح غيره أو يبالي بها . (لسكى امرئ يومئذ شأن يغنيه) .

٥ - جاك الواوي ، جاك الدييب : (الواوي) ابن آوى .

يضرب لمن هو معرض لأحوادث الخوفة المتتالية . فهو يشبه صاحب مزرعة فيها غنم ودجاج ، والذئب وبنات آوى تتحين الفرص لاختطافها فهو تحت ظل الخوف دائماً .

٦ - محمد يگسول لبني حامض : لا أحد يقول عن ابنه إنه حامض . ويقصد من (البن) هنا الحليب الرائب لأنه هو المعروف عند العوام بهذا المعنى .

يضرب مثلاً في اعتزاز كل امرئ بفضاعته فلا يبوح بما فيها من عيب ، أو في اعتزازه بما يحسنه من أمور مادية أو معنوية ، فهو يخفي ما في ذلك من عوار أو ضعف .

٧ - جاني إيد من ورة وإيد من گندام : أي جاء خلوي الوفاض ، (ورة) أي وراء . (گندام) أي قدام .

يضرب مثلاً لمن ذهب بشيء ثم رجع وقد ضيعه ، أو ذهب ليكسب فضيع رأس ماله مع ربحه . وأصل المثل أن رجلاً خرج مسافراً ولم يبعد عن بلده كثيراً حتى سلبه السراق ثيابه وبقي عارياً فرجع إلى أهله يستر سورتبه بكففيه .

المثل -- المثل في القرآن الكريم

٨ -- لِيَبْلُلَ مَا يَخْسِفُ مِنَ الْمَطَرِ : أي من كانت تياه مبتلة لا يبالي أن يصيبه المطر .

يضرب مثلاً لمن تمكن منه أمر مكروه ثم بداه مكروه آخر .

٩ -- إضربني ميسه واحسبني وي الحرامية : أي احسبني في عداد السراق ولو أدى ذلك إلى جلدي مائة جلدة . وهو حد السارق .

يضرب مثلاً لمن يحب أن يشتهر بما ليس فيه لجرد المباهاة وأن أدى ذلك إلى ضرره ضرراً بليغاً .

١٠ -- إِيخْرَبْ دَسْتِ طَبِيخٍ عَلَى فُلْسِينٍ مَلْحٍ ، أَي يَفْسُدُ قَدْرًا طَعْمًا آبِيخْلَهُ بِالْقَاءِ قَلِيلٍ مِنَ الْمَلْحِ فِيهِ .

يضرب في من يبخل بشيء قليل فيفسد عليه بذلك شيء كثير .

١١ -- إِيْدِقْ مَاي يَطْلَعُ مَاي : أَي مِنْ يَدِقْ عَلَى مَاءٍ فِي هَاوُونَ أَوْ نَحْوِهِ ، لَا يَحْصُلُ مِنْ عَمَلِهِ غَيْرُ الْمَاءِ . فَعَمَلُهُ عَيْثُ .

يضرب في من يحاول القيام بعمل لم تتوفر فيه عوامل النجاح .

١٢ -- إِذَا عَثَرْتَ الْفَرَسَ مَا يَقْضُونَ رِجْلَهُ :

يضرب في الكريم إذا بدت منه هفوة . فإنه يجب أن يعذر ، لأن هفوة الكريم مغفورة . وعترات الكرام تُجبر .

١٣ -- إِنْشَتَرِي بُعْمَتَكَ حَلَاوَةً : أَي إِنْ عَقَلْتَ يَصْلِحُ نَعْمًا لِلْحَلَاوَةِ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ

هو ان مشتري أسقاط الحديد كانوا يتجولون في الطرقات يحملون كمية من الحلاوة الرديئة جداً ، وهم ينادون لشراء أسقاط الحديد بها من الصبيان ونحوهم .

يضرب لمن يستخف عقله . كأنهم يقولون له أن عقلك آفن لا يصل إلا إلى الأخطاء

ولا يدرك غيرها ، كإسقاط الحديد لا يستجلب بها الا الحلاوة الرديئة .

١٤ - اشتغل بفلس وحاسب البطال : مأخوذ من قول ابن الوردي في لاميته المشهورة : إكسب الفلاس وحاسب من يطل .
يضرب لمن آثر الراحة على السكدة فترك العمل معتسداً بقله الربح من عمله ، أستنباضاً له للعمل .

١٥ - إلباً كلُّ بضرسو ينفع نغو :
يضرب للبحث على أن يمارس المرء أعماله بنفسه ولا يبكل أموره إلى غيره . ماحك جلدك مثل ظفرك ، فتقول أنت جميع أمرك .

١٦ - كل كشه إبعده بكرة بكرة . يراد من (كشه) جثة الحيوان -- من نغم ونحوها -- بعد ذبحه . (الكراع) معروف . فإن القصاب يعلق كل جثة في سنارته من كراعها هي . فكل جثة مستقلة بنفسها في أمر تعليقها ، لا ارتباط لها بغيرها . فلها ما لها وعليها ما عليها -- لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت -- .

يضرب لمن يغيب الناس ويذم أعمالهم بدون حق ، ليكف لسانه . فكان المثل يعني (كل نفس بما كسبت رهينة) أو (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

١٧ - عينك عنى مالك دوه : أي انت ملاحظتك لما ملكت يدك هي الحارس الأمين لها وهي الدواء الواقي لها من علة الضياع .

يضرب لمن لا يعني بمراقبة أمواله بنفسه فيتسرب إليها الضياع . ويضرب لحك المرء على مراقبة أمواله صيانة لها من الضياع .

١٨ - إلساس شاصر والحمل حمل : النخلة إذا أُسرت أي لقيحت تأبيراً صحيحاً جيداً توتى أكلها ثمراً طيباً مباركاً كاملاً . وإذا لم توبر فإن ثمرها يأتي رديئاً لا يصلح لأكل الإنسان ويسمى (شديما) وإذا لقيحت تلقيحاً ناقصاً أو خاطئاً نقص حملها حسب ذلك .

المثل — المثل في القرآن الكريم

يضرب إذا وقعت كارثة فأضرت بقوم فأصرفوا عن تدارك الأمر واقتصروا على التلاوم وقعدوا مبلسين . فيقال لهم (الشاخص شاخص والحمل حمل) . أي مضى ما مضى فهلك ما هلك ونجا ما نجا ، وقضي الأمر ، فلا فائدة من القعود والتلاوم ، بل لابد من العمل لإعادة الأمور إلى مجاريها . فنبين الكارثة والعمل لإصلاح الحال الزم وأولى .

والأمثال العامية تعد بالآلاف نو استقصى جمعها من سائر أنحاء العراق . ولم أقف على من تصدى لجمعها سوى ثلاثة من الأدباء قام اثنان منهما في ذلك . مشتركاً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وهما المرحوم السيد محمد سعيد من بيت آل مصطفى الخليل ، وهو بيت معروف له مقامه في الكرخ من بغداد ، والمرحوم عبد اللطيف ثنيان . وبيت آل ثنيان معروف له مكانته في الرصافة من بغداد . فقد وضع كتاباً ضخماً لم يرل مخطوطاً بخط ثنيان محفوظاً عند ولده السيد يحيى ثنيان ، والثالث الأستاذ عبد الخالق الديبغ الهذلي في الموصل ، فقد وضع كتاباً على جزئين في الأمثال العامية في الموصل . وقد طبع كتابه ونشره فشكرناه .

فإذا لو نفرت مائتة من الأدباء إلى الأرياف والعشائر القاطنة والبادية ، تستقري ما عندهم من شعر وقصص ومثل ، وأنواع أخرى من القول ، وأوزان وبحور في النظم ، فتلتقط ما تستلججه من ذلك ، في كتب ودواوين . إنها إن فعلت ذلك فسيظهر فيها مثل الأصمعي وخلف الأحمر ونحوهما من رواة الأدب الجاهلي والمخضرم ، وستجد الشيء الكثير من صنوف الأدب ، فيه جدة ، وفيه متعة ، وستضم هذا الأدب الطريف إلى أدبنا التليد . وسيكون من أبوابه :

١ — باب شدو الرجا .

٢ — وباب تغريد الكرود .

٣ — وباب المناجاة .

٤ - وباب الأعراس .

٥ - وباب المفارقة .

٦ - وباب المدح .

٧ - وباب التناوح في المعركة .

٨ - وباب الأمثال .

٩ - وباب النوح .

وأبواب كثيرة أخرى يظهرها لهم الاستقراء والتتبع .

وهذا الموضوع يستحق بحثاً طويلاً خاصاً به ، بمقالات ضافية ، تنطلق بعدها أقلام

الأدباء إلى التأليف فيه ، ثم ظهور نوع من الأدب العربي جديد ، وهو في الواقع قائم غير

منظور إليه ، ناطق ولا سامع له ، لذيذ في الأدب ، يحلو مذاقه .

منير القاضي

تصويب

المرغوبة	الخطأ	الخطأ	المرغوبة
٢٠	ضرب الله مثلا	ضرب مثل	١٧
٢١	بحسبه	يحسبه	١٨
٣٢	السارق	السارق . في عرفهم	٥